اقتراحات السعودية السلمية وقرار الدولة الفلسطينية

طرح ولي العهد السعودي الامير عبد الله بن عبد العزيز اقتراحا بأنهاء حالة الحرب الطويلة بين العرب واسرائيل مقابل انسحاب الاسرائيليين من المناطق الفلسطينية ومقابل انسحابا من الجولان مع ترتيبات ملائمة فيما يخص القدس واللاجئين . . . وقد جرى تبني هذا الاقتراح بعد تعديله ليكون اكثر وضوحا فيما يخص مسألة اللاجئين في اجتماع الجامعة العربية وفي النهاية جرى ادخاله ضمن خطة الطريق التي طرحتها اللجنة الرباعية . . . وفي ١٢ آذار ٢٠٠٢ اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة القرار ١٣٩٧ الذي دعا الاطراف الى وقف ما اسماه العنف من جديد وتطرق الى ذكر خطة الامير عبدالله للسلام . . وكذلك دعا وللمرة الاولى منذ عام ١٩٤٧ الى اقامة دولة فلسطينية الى جانب اسرائيل .

الجدار العنصري

استمرت العمليات الاستشهادية وردود الفعل الانتقامية الاسرائيلية تواصلت . . . اعلن ياسر عرفات وقف العنف عدة مرات لكن هذا لم يكن ذا تأثير ظاهر على اشتداد العمليات الاستشهادية والكمائن . . . اما الاسرائيليون فقد واصلوا من جانبهم سياستهم في اغتيال المطلوبين في المناطق الفلسطينية وخلال الاسبوع الاخير من شهر آذار اي حين كان الجنرال ريني على وشك الذهاب الى الشرق الاوسط من جديد ، كان الفلسطينيون ينفذون عملية استشهادية ناجحة كل يوم تقريبا ، إضافة الى الكثير من الهجمات الاقل نجاحا . . . ادى تفجير في فندق بارك في ناتانيا الى مقتل ٢٧ شخصا كانوا يحتفلون باحد الاعياد الدينية اليهودية . . وردت اسرائيل بغارة ضخمة اسمتها (عملية الجدار الواقي) قصدت من خلالها استئصال البنية التحتية للمقاومة ، بما في ذلك اعادة احتلال رام الله ونابلس وجنين وطولكرم وبلدات اخرى . . . وزعمت اسرائيل ان ٥٠ شخصا فقط قتلوا في مخيم جنين وان اكثرهم اعضاء في كائب شهداء الاقصى التابعة لحركة فتح . . . لكن الفلسطينيين اتهموا اسرائيل بارتكاب مجزرة في مخيم جنين قتلوا فيها اكثر من ٥٠٠ شخص . . وقد كررت هذا الاتهامات اكثر المصادر الاخبارية في اوروبا رغم تراجعها عنها فيما بعد . . وقد قالت منظمات حقوق الانسان التي دخلت مخيم جنين بعد الغزوالإسرائيلي ان فيه قدرا كبيرا من الدمار وان من المرجح ان يكون الجيش الاسرائيلي قد ارتكب فيه

جرائم حرب من خلال منع وصول المساعدات الطبية ، لكنها قالت ان عدد القتلى لم يتجاوز الخمسين وان اكثر من نصفهم ارهابيين . . وبهذا اكدت الرواية الاسرائيلية الكاذبة عن الاحداث .

خفت الهجمات الاستشهادية لكنها لم تتوقف . . . وخلال مجرى القتال ادعت اسرائيل انها وضعت يدها على وثائق كثيرة تدل على ان ياسر عرفات كان قد وافق شخصيا على تنظيم خلايا ارهابية . . . وكذلك على ان خزينة السلطة الفلسطينية وافقت على دفع اموال من اجل شراء احزمة ناسفة يستخدمها الاستشهاديون . . (نلاحظ بأن اسرائيل تحاول في كل مناسبة وبعد كل عملية مقاومة ان تقحم عرفات وسلطته فيها بينما هم بعيدون كل البعد عن تلك العمليات بل على عكس ذلك كانوا يحاولون وقفها او محاربتها) واعتقل الاسرائيليون او قتلوا كثيرا من الاشخاص الذي شكت اسرائيل في تورطهم في النشاطات الاستشهادية وقام الجيش الاسرائيلي ايضا باتلاف سجلات وابنية وطرق وغير ذلك من البنية التحتية المدنية البريئة في المصارف والمنظمات غير الحكومية وغيرها من المنظمات التي من الواضح ان لا علاقة لها بتلك العمليات .

وفي وقت لاحق من مجريات القتال تمكن الجيش الاسرائيلي من تحديد مكان وجود مروان البرغوتي الذي يقود " التنظيم " في فتح واعتقلته . . وزعمت اسرائيل ان لديها ادلة على صلة البرغوتي بكثير من الاعمال الارهابية وفي النهاية قدمته الى المحكمة فتلقى خمسة احكام بالسجن المؤبد بسبب التواطؤ على القتل . . . ذهب منتقدو السياسة الاسرائيلية الى انه من غير الممكن انهاء العنف بالوسائل العسكرية في غياب التقدم باتجاه الحل السلمي . . . لكن عدد الهجمات الاستشهادية الناجحة وتواترها راحا يتراجعان في اعقاب عملية الجدار الواقي ، وذلك مع استخدام قوات الامن الاسرائيلية المتزايد للمعلومات الاستخباراتية التي جمعتها خلال هذه العملية من اجل رصد الهجمات واحباطها . . لكن عدد محاولات شن تلك الهجمات لم يشهد تناقصا كبيرا .

وقبيل نهاية عملية الجدار الواقي وصل الى المنطقة وزير الخارجية الامريكي كولن باول لمحاولة وقف العنف فقد كان في حاجة الى الهدوء في اسرائيل وفلسطين من اجل إتاحة المجال للولايات المتحدة لبناء تحالف ضد العراق . . . لكن مهمة باول لم تحقق شيئا اذ لم يتمكن من جعل الاسرائيليين ينسحبون انسحابا كاملا من المناطق التي احتلوها ولم يتمكن من جعل الفلسطينيين يوافقون على وقف اطلاق النار . وقد ادى الغضب الشعبي والمظاهرات في البلدان العربية لقيام اسرائيل بارتكاب المجازر الى دفع الامم المتحدة الى التحرك . . وجاء قرار الامم المتحدة رقم ١٤٠٢ ينص على انسحاب اسرائيل الفوري . . ومع مغادرة باول كان الجيش الاسرائيلي قد بدأ

في الانسحاب من بعض البلدات لكن ياسر عرفات كان لا يزال حبيس المقر الرئاسي في رام الله وكان الاسرائيليون يحاصرون كنيسة المهد في بيت لحم حيث التجأ اليها فلسطينيون مسلحون هربوا من الجيش الاسرائيلي . . تبنى مجلس الامن قرار ١٤٠٥ الداعي الى تشكيل فريق تحقيق محايد وإرساله للتحقيق في المجازر التي ارتكبتها اسرائيل واعترضت اسرائيل على تركيبة الفريق بعد ان كانت وافقت على التحقيق في البداية لكنها عادت عن موافقتها ومنعت اجراء تحقيق زاعمة ان تركيبة الفريق واجراءات التحقيق غير منصفين بالنسبة لها وقالت ان الامم المتحدة تراجعت عن الاتفاقات الاولية بشأن هذا التحقيق . . .كانت معارضة التحقيق في اسرائيل مدفوعة بذكريات مؤتمر " دربان " الذي كما تقول ، لم يمض عليه وقت طويل اضافة الى قرار الامم المتحدة الذي ينص على ان الصهيونية احد اشكال العنصرية الذي جرى استحضاره كثيرا في الجدل العام في اسرائيل .

قام رئيس الوزراء الاسرائيلي " أرييل شارون " بزيارة الولايات المتحدة في ايام ٢٠٠٢ بضغط من الادارة الامريكية من اجل طرح برنامج سلمي يمكن ان يكون مقبولا لدى الفلسطينيين والدول العربية . . ناقش الاثنان خطط عقد قمة إقليمية في وقت لاحق من عام ٢٠٠٢ وعرض الجانب الاسرائيلي وثائق زعم انها تثبت تورط ياسر عرفات والسلطة الفسطينية في اعمال ارهابية . . . وقد وردت اثناء اجتماع بوش وشارون انباء عن تفجير استشهادي قامت به حركة حماس الامر الذي جعل شارون يقطع زيارته والعودة الى اسرائيل .

تم التوصل الى حل الحصار لمبنى المقاطعة (مقر الرئاسة الفلسطينية) وكنيسة المهد في ايار ٢٠٠٢ وجرى ابعاد المسلحين في كنيسة المهد الى قبرص واوروبا . . واما بعض المطلوبين الذين كانوا في مجمع المقاطعة في رام الله فقد جرى حبسهم في اريحا . . لكن من الواضح ان قسما من المطلوبين ظل في المجمع . . وقد زعمت اسرايل ان زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كان يتولى تنسيق الهجمات الاستشهادية من زنزانة سجنه في أريحا . وتحت ضغوط من اجل الإصلاح الديمقراطي ، وقع ياسر عرفات في نهاية أيار القانون الاساسي او دستور الدولة الانتقالية الفلسطينية . . . وينص هذا الدستور على ان القانون الفلسطيني قائم على مباديء الشريعة الاسلامية وبعد موجة جديدة من الهجمات الاستشهادية الفلسطينية في حزيران اعادت القوات الاسرائيلية احتلال معظم انحاء الضفة الغربية . . . وسرعان ما زعمت الحكومة الاسرائيلية أن إعادة الاحتلال هذه لن تستمر من غير نهاية ، لكنها عادت فاشارت الى غير ذلك في وقت لاحق . . والقى الرئس بوش كلمة طال انتظارها تناولت سياسة

الشرق الاوسط ودعت الى قيام دولة فلسطينية ، لكنها اصرت على ضرورة الاصلاح الديمقراطي في السلطة الفلسطينية .

وفي شهري آب وأيلول ٢٠٠٢ احبطت عدة محاولات لوقف اطلاق النار من جانب الفلسطينيين بفعل رفض الجماعات المشاركة فيها وبفعل الاعمال التي قامت بها اسرائيل مثل اغتيال الشهيد صلاح شحادة الذي كان قائد الجناح العسكري في حماس وذلك خلال غارة صاروخية على غزة سقط ضحيتها ١٣ مدنيا . . حل محمد ضيف محل صلاح شحادة . . . مرت ستة اسابيع من شهر آب وأيلول هدأت فيها الهجمات الكبيرة مما سهل وضع خطة اسرائيلية فلسطينية من اجل اعادة السلطة الفلسطينية الكاملة الى قطاع غزة وبيت لحم لكن هذا فشل بعد عدد من الهجمات العنيفة في غزة وفي اوائل شهر ايلول احبطت قوات الامن الاسرائيلية كثيرا من الهجمات الاستشهادية وضبطت شاحنة تحمل اكثر من ٦٠٠ كيلوغرام من المتفجرات وعبوات الغاز كان الفلسطينيون يعتزمون استخدامها في هجوم استشهادي كما زعمت اسرائيل .

انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في ايلول للموافقة على الوزارة الجديدة التي جرى اختيارها انسجاما مع المساعي الاصلاحية . . . لكن اعضاء الحكومة في المجلس رفضوا المصادقة على الحكومة الجديدة حتى يقبل ياسر عرفات بوجود رئيس الوزراء يقاسمه السلطة . . بدلا من ذلك وافق عرفات على إجراء الانتخابات في كانون الثاني ٢٠٠٣ رغم الاحتلال الاسرائيلي . . . كانت اذ ذاك شعبية عرفات قد تراجعت بين الفلسطينيين ولم تجر تلك الانتخابات ابدا . . وانتهت فترة الهدوء النسبي بتفجير استشهادي في ام الفحم وفي حافلة في تل ابيب . . . ردت الحكومة الاسرائيلية بالهجوم على غزة ودخلت مدينة غزة ذاتها كما حاصرت ياسر عرفات ومعه نحو ٢٠٠ شخص في مبنى المقاطعة في رام الله . طالبت اسرائيل الفلسطينيين بتسليم الاشخاص المطلوبين الذين لجأوا الى مبنى المقاطعة وكان بينهم رئيس الامن الوقائي الفلسطيني توفيق الطيراوي . . . ولما رفض هذا الطلب قامت اسرائيل بتدمير جميع مبنى المقاطعة باستثناء المبنى الرئيسي لكنها وعدت بعدم ايذاء عرفات . . وبعد سريان شائعة بأن اسرائيل تعتزم نسف مبنى المقاطعة انطلقت مظاهرات ضخمة في الضفة الغربية وغزة سقط فيها ٤ قتلى . . ضغطت الولايات المتحدة على اسرائيل لكي تتوقف عن تدمير المبنى في مجمع المقاطعة وتنسحب . استمر الحصار الاسرائيلي رغم قرار الامم المتحدة . . ورفع الحصار في النهاية لكن عرفات ظل محتجزا ومعزولا في رام الله . جرى فرض حصار جديد في الخريف . . وفي نيسان ٢٠٠٢ اطلقت الحكومة الامريكية سلسلة

مشاورات مع مجموعة الدبلوماسيين وصارت تعرف باسم " اللجنة الرباعية " وضعت هذه اللجنة خطة طريق فيما يخص الاستيطان تتضمن انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة وإقامة الدولة الفلسطينية . وفي تشرين الاول ٢٠٠٢ انسحب حزب العمل من الحكومة الاسرائيلية ودعا رئيس ا لوزراء آرييل شارون الى انتخابات فورية تجرى في ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٣ . . . وفي ا لانتخابات حظي حزب شارون (الليكود) بتفويض ساحق لمواصلة السياسات المتشددة ازاء الفلسطينيين . رفض حزب العمل الاسرائيلي تشكيل حكومة ائتلاف وواصلت اسرائيل احتلال معظم اجزاء الضفة الغربية .

وخلال هذه الفترة واصلت الولايات المتحدة حشد القوات من اجل غزو العراق . . . كان الفلسطينيون مؤيدين لصدام حسين وكان نظامه قد قدم الاموال لعائلات الشهداء إضافة الى إيواء المقاتلين الفلسطينيين . دخلت القوات الامريكة بغداد يوم ٩ نيسان واعلن الرئيس بوش انتهاء الحرب في الاول من ايار عام ٢٠٠٣ . تلك الحرب على العراق سببت جيشانا واضطرابا في الشرق الاوسط وكان الفلسطينيون اكثر من تأثر بها . . دهش العرب لسرعة سقوط العراق وسارعت الحكومات العربية بما فيها السلطة الفلسطينية الى إبداء اشارات تصالحية والى الحديث عن الديمقراطية مع انتقاد خجول للاحتلال الامريكي للعراق الذي ولد قدرا كبيرا من السخط . . . انتخب محمود عباس رئيسا للوزراء في فلسطين في ٢٩ نيسان لكن العنف لم يهدأ . . نفذ الاسرائيليون غارات دموية في غزة وغيرها يوم انتخاب عباس . . وبعد ساعات معدودة نفذت حركة حماس هجوما استشهاديا في ملهى ليلي في تل ابيب . . وفي اليوم التالي بدأ الجيش الاسرائيلي بغارات مكثفة في المناطق وخلافا لخطة الطريق ، تولى ياسر عرفات مسؤولية تنظيم قوة امنية موحدة جديدة . . . كانت الولايات المتحدة طبقا لما وعدت به الفلسطينيين قد اطلقت خطة طريق محدثة يوم ٣٠ نيسان اي عقب انتخاب ابو مازن مباشرة . . . وفي قمة احتفالية عقدت في العقبة يوم ٤ حزيران تعهد كل من رئيس الوزراء الاسرائيلي شارون ورئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس بالوفاء بشروط خطة الطريق ثم تصافحا في حضور الرئيس الامريكي جورج بوش ودعا ابو مازن الى وقف العنف

تعهد زعماء حركتي حماس والجهاد الإسلامي الإسلاميتين الوطنيتين بمواصلة المقاومة. وبعد تلك القمة مباشرة قتل أربعة جنود إسرائيليين في غزة في عملية مشتركة لم تقتصر المشاركة فيها على الإسلاميين وحدهم إذ شاركت فيها حركة فتح المنشقة عن حركة محمود عباس. بدأت إسرائيل تفكيك زهاء ١٠٠ نقطة عسكرية غير قانونية،

لكن هذا التفكيك اقتصر على النقاط غير المأهولة. وفي ١٠ حزيران حاولت إسرائيل اغتيال زعيم حماس أحمد ياسين مما أثار الغضب بين الفلسطينيين والانتقاد الموجه إلى الولايات المتحدة. وفي ١١ حزيران، قتل تفجير انتحاري ١٦ إسرائيلياً في حافلة في شارع رئيسي من شوارع القدس. وفي ٢٠ آب، قتل تفجير انتحاري آخر ٢١ شخصاً في حافلة في القدس. وفي اليوم التالي اغتالت إسرائيل أحد قادة حماس ويدعى إسماعيل أبو شنب، ولعل ذلك كان انتقاماً لتلك التفجيرات. أعلنت إسرائيل أيضاً إهدار دم جميع قادة حماس ونفذت عدة محاولات لاغتيالهم فشل بعضها، وكان من بين المستهدفين "الزعيم الروحي" المسن المقعد لحركة حماس. ومع استمرار تهاوي الهدنة سرت شائعات قالت إن متطرفين فلسطينيين حاولوا اغتيال رئيس وزراء السلطة الفلسطينية محمود عباس. وفي الأيام التي أعقبت ذلك دخلت إسرائيل الضفة الغربية من أجل عملية "تطهير أمني" تدوم عدة أيام. بدأ عباس ورئيس جهاز الأمن في غزة محمد دحلان التحرك ضد المقاومين الفلسطينيين وفقاً لمقتضيات خطة الطريق؛ في حين حاول ياسر عرفات أن يستبدل بمحمد دحلان جبريل الرجوب وأن يضع الأجهزة الأمنية ووزارة الداخلية في أيدي أنصاره. أعلن عباس في ٤ أيلول أنه لن يتحرك ضد المقاومين، لكن هذا لم يفلح في جعله يتمكن من الاستمرار في منصبه فاستقال في ٦ أيلول وخلفه أحمد قريع (أبو العلاء) الذي كان من أنصار عرفات. تعهد قريع بانتهاج خط متشدد إزاء إسرائيل. وفي ٨ أيلول قرر زعماء الاتحاد الأوروبي فرض حظر على الجناح السياسي لحركة حماس وعلى منع التبرعات النقدية المقدمة إليها. وفي مساء ١٠ أيلول ٢٠٠٣ سقط ١٥ قتيلاً في تفجيرين انتحاريين متزامنين في القدس وبالقرب من قاعدة زريفين العسكرية قرب "ريشون لتسيون" انتهت فترة الحرب الهادئة بتفجير انتحاري آخر في مطعم في حيفا يوم ٤ تشرين الأول تمت نسبته إلى حركة الجهاد الإسلامي. أدانت السلطة الفلسطينية ورئيس وزرائها المعين أحمد قريع ذلك التفجير، لكنهما لم يتمكنا من الالتزام باتخاذ خطوات ضد الفصائل الفلسطينية المقاتلة. وعلى سبيل الانتقام قامت إسرائيل اجتياح غزة وجنين؛ وفي ٥ تشرين الأول ضربت قاعدة في سورية زعمت أنها قاعدة لتدريب الجماعات الفلسطينية. كان هذا أول هجوم إسرائيلي في الأراضي السورية منذ حرب يوم الغفران (حرب رمضان) عام ١٩٧٣. بعد ذلك بدأت فترة طويلة من الهدوء النسبي في الهجمات الفلسطينية، لكن إسرائيل واصلت مهاجمة الأهداف الفلسطينية موقعة خسائر كبيرة في أرواح المدنيين. استمر حدوث الهجمات الاستشهادية من وقت لآخر من قبل فصائل حماس أو الجهاد الإسلامي أو من قبل كتائب الأقصى التي هي جزء من حركة فتح من الواضح أن السلطة الفلسطينية فقدت سيطرتها عليه. جرى

تنفيذ تفجيرات انتحارية في ٢٥ كانون الأول ٢٠٠٣ وفي ١٤ و٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٤ وفي ٢٢ شباط أيضاً من قبل كتائب الأقصى التابعة لحركة فتح ومن قبل حماس والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

اتفاق جنيف. أعلن زعماء المعارضة الإسرائيلية وقادة فلسطينيون عن اتفاق مبادئ بشأن شروط الحل النهائي. يطرح هذا الاتفاق الذي صار يعرف باسم اتفاق جنيف تقديم تنازلات تاريخية من الجانبين: تتخلى إسرائيل عن السيادة على الشطر العربي من القدس في حين يتخلى الفلسطينيون بوضوح عن حق اللاجئين في العودة إلى إسرائيل. ورغم انعدام الصفة الرسمية لذلك الاتفاق في وقته فقد حظي بدعاية واسعة وتضمنت تأييداً من جانب وزير الخارجية الأمريكي كولن باول وتحبيذاً حاراً من جانب ياسر عرفات. شجبت الحكومة الإسرائيلية هذا الاتفاق والمشاركين فيه وحاولت منع الترويج له في وسائل الإعلام العامة. وعلى نحوٍ مماثل، شجبه المقاومون الفلسطينيون وحلفاؤهم.

الجدار الأمني (يدعى أيضاً "السياج الأمني" أو "جدار الفصل العنصري"). كان من بين القضايا الكبرى التي أثيرت خلال الحملة الانتخابية الإسرائيلية عام ٢٠٠٣ إقامة حاجز أمني (سياج أو جدار) دعا إلى بنائه حزب الحمائم في إسرائيل، حزب العمل. وكان من المزمع أن يقام الجدار على امتداد الخط الأخضر ليساهم في منع الهجمات الانتحارية داخل إسرائيل. وكان حاجز مماثل في غزة قد استطاع تقليل حالات التسلل حتى الصفر. لكن اليمين، بما فيه حزب الليكود بزعامة آرييل شارون، عارض إقامة هذا الجدار لأن من شأنه أن يخلق حدود أمر واقع، كما رأوا، فيقسم القدس ويضع معظم المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية خارج حماية الترتيبات الأمنية. فاز شارون وحزبه في الانتخابات بأغلبية كبيرة موقعين فوضى شاملة في حزب العمل وحزب ميريتس اليساري.

وخلال عام ٢٠٠٣ تبنى رئيس الوزراء آرييل شارون فكرة الجدار العازل وعدلها فغير مسار الجدار ليشمل كبرى المستوطنات الإسرائيلية وجعل فيه قسماً ناتئاً من جهة الشرق من شأنه فصل الفلسطينيين إلى جيبين. ومع المضي في إنشاء الجدار صار من الواضح أنه يحجز كثيراً من الفلسطينيين فيفصلهم عن حقولهم وأماكن عملهم التي يقع بعضها على الجانب الإسرائيلي من الخط الأخضر الذي رسمته هدنة ١٩٤٨ ويقع بعضها الآخر على الجانب الفلسطيني. وفي المناطق المأهولة حيث يظهر الجدار أكثر من المناطق الأخرى، تمت إقامته على شكل جدار إسمنتي ضخم رغم أن معظم أجزائه الأخرى مبنية على شكل سياج. بدأت الجماعات الفلسطينية وجماعات السلام الإسرائيلية حملة احتجاجٍ شديدة. وفي ٨ كانون الأول ٢٠٠٣ عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلسة

طارئة فأصدرت القرار رقم (ES-10/14) الذي طلب من محكمة العدل الدولية في لاهاي رأياً استشارياً فيما يخص شرعية إقامة الجدار. بدأت المحكمة مداولاتها في ٢٤ شباط لكن إسرائيل قاطعت جلساتها رغم أنها قدمت مذكرة موجزة مفادها أن على المحكمة عدم إصدار حكم في هذه القضية. وقد قدم نحو ٣٠ بلداً آخر، من بينها الولايات المتحدة وعدة دول أوروبية، مذكرات تقول إن على المحكمة عدم إصدار حكم بأن المسألة سياسية لا قانونية؛ ولذلك امتنعت هذه الدول كلها عن حضور الجلسات. على أن أكثر هذه الدول انتقدت الجدار باعتباره غير شرعي أو باعتباره عقبة في وجه مفاوضات السلام. قامت جماعات إسرائيلية وصهيونية بتنظيم مظاهرات في لاهاي، ونظم الفلسطينيون مظاهرات مضادة. جلب الإسرائيليون حافلة تعرضت للتفجير وقالوا إن الجدار يمنع الهجمات الانتحارية. أما الفلسطينيون فاستخدموا الجلسات منبراً من أجل نزع الشرعية عن الاحتلال. وفي ٩ تموز خرجت محكمة العدل الدولية برأي استشاري فيما يخص السياج الأمني الإسرائيلي. قررت المحكمة أن هذا السياج ينتهك حقوق الإنسان وأن على إسرائيل تفكيكه. أعلنت إسرائيل عدم التزامها بقرار المحكمة لكنها أدخلت تغييرات على مسار الجدار نزولاً عند قرار المحكمة الإسرائيلية العليا.

فضيحة الفساد الإسرائيلية

منذ انتخاب آريل شارون في عام ٢٠٠٣ حامت حوله الشكوك كما حامت حول عدد من أعضاء حزب الليكود بسبب مزاعم بالرشوة والعلاقة مع عصابات إجرامية. وفي كانون الثاني ٢٠٠٣ أدين دافيد آبيل بتهمة الرشوة، وقد كان أحد أقرب مساعدي آريل شارون. وقالت لائحة الاتهام إنه قدم الرشوة إلى شارون وابنه وإلى نائب رئيس الوزراء إيهود أولمرت. وكان السؤال الواضح هو: هل سيدان آريل شارون أم لا؟

جدل بشأن تبادل السجناء

بعد شهور طويلة من المفاوضات من خلال وساطة ألمانية، اتفق كل من إسرائيل وحزب الله اللبناني على تبادل للسجناء وفق شروط من جانب واحد، وذلك في ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٤. أطلقت إسرائيل سراح أكثر من ٤٠٠ سجين فلسطيني ولبناني أحياء، وأعادت عدداً كبيراً من الجثامين مقابل جثامين ثلاثة جنود إسرائيليين اختطفهم